تأملات في وجدانية الخنساء من خلال رثاء أخيها صخر

Reflections on Al-Khansa's sentimentality through the lamentation of her brother Sakhr

موسى حبيب

جامعة مصطفى اسطمبولي – معسكر–الجزائر، moussahabib333@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2026/03/02 تاريخ القبول: 2026/05/09 تاريخ النشر: 2026/06/06

ملخص:

يعد الرثاء أحد أبرز الأغراض الشعرية التي عرفها العرب منذ القديم، وهو شعر صادق بعيد عن الصنعة والتكلف لارتباطه بظاهرة الموت الذي هو مصير حتمي لكل إنسان.

وتكمن أهمية هذه الدراسة أنها تسعى إلى مقاربة اللغة الوجدانية من خلال مراثي الخنساء؛ فتلج في أعماق أساليبها وإيقاعاتها لتستكنه حجم الإحساس وعمق الشعور في لغتها. وما يبرز في شعر الخنساء، هو لغة التوجع والبكاء، ولكنها في الوقت نفسه ترقى إلى المعاني الإنسانية التي تقدمها من خلال رسائلها الرثائية العاطفية.

وما نخلصه من هذه الدراسة أن في شعر الخنساء ملامحا واضحة لهذه اللغة الوجدانية التي ترثي بها الشاعرة أخاها صخر، وقد استطاعت أن تلج إلى أعماق الشعور والإحساس بفيض هذه الإيقاعات والأجراس، وقد تجلت تلك المعاني الإنسانية من خلال لغة الخنساء الوجدانية.

الكلمات المفاتيح: تأملأت– وجدانية– الخنساء– رثاء–صخر.

Abstract: Elegy is considered one of the most prominent poetic genres known to the Arabs since ancient times. It is characterized by sincere poetry, free from artificiality and affectation, due to its connection to the phenomenon of death—an inevitable fate for every human being.

The importance of this study lies in its attempt to approach the emotional language found in Al-Khansa's elegies. It delves into the depths of her stylistic methods and rhythms to explore the magnitude of sensation and the depth of feeling within her language. What stands out in Al-Khansa's poetry is the language of pain and weeping; however, at the same time, it rises to convey human meanings through her emotional elegiac messages.

We conclude from this study that Al-Khansa's poetry contains clear features of this emotional language through which the poetess mourns her brother, Sakhr. She succeeded in reaching the depths of feeling and sensation through an abundance of these rhythms and cadences, and those human meanings were manifested through Al-Khansa's emotional language.

Key words: Key Words: Reflections – Emotional – Al-Khansa – Elegy – Sakhr.

1. مقدمة:

اللغة أداة للتواصل والتعبير، ووسيلة للتخاطب والتأثير، وقد تستطيع اللغة بصدق الإحساس وعمق الشعور أن تغيّر العالم وتثير في الآخرين معاني الإنسانية، واللغة الوجدانية هي الكفيلة بالولوج إلى أعماق النفوس، وتحريك المشاعر، وهذا ما نجده جليا في لغة الخنساء التي نكتشف من خلال رثاء أخيها صخر أنها تخاطب العالم بأكمله أن يؤانسها في محنتها، وتدعوه أن يخفف عنها الأحزان والجراح الباطنية. ومن يمعن النظر في لغة الخنساء يجدها متفردة من حيث الإحساس، فشدة المصيبة وقوة النازلة جعلت الشاعرة تعبّر بلغة مشحونة إلى حد كبير بالفيض العاطفي، كأن الكلمات كما يعبّر يوسف الخال "بركان رماد ابتردا"، أو أنها شحنات كهربائية تؤثر في كل من هو حولها، فاللغة الشعر في ديوان الخنساء هي لغة الرثاء، لغة البكاء التي تترجمها المآقي. ولا يترجم هذا الإحساس إلا من يملك الإحساس، فيحسن قراءة هذه الكلمات. وفي تأملاتنا لوجدانية الخنساء، نعرف قدر الرثاء، ومن هم أهل الرثاء، بل نعرف أن الموتى ليسوا كالأحياء؛

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميّت ميّت الأحياء

ومن ينظر في قصائد الخنساء الرثائية يجدها تحتوي على كثير من المعاني البلاغية والأساليب البيانية التي تفيد القارئ للتراث الأدبي، وهذا – دون شك – من الأهمية بمكان، ومن الجانب العاطفي والإنساني ندرك من خلال هذه اللغة (لغة الخنساء) قيمة العلاقات الإنسانية وفضل الروابط البشرية؛ فعلاقة الخنساء بأخيها، تقودنا إلى تعظيم شأن العلاقات والروابط، كالعلاقة الحميمية التي تجمع بين الأم وابنتها، أو البنت ووالدها، أو بين الأخ وأخيه، أو بين الابن ووالده... ولابد لهذه العلاقات الإنسانية أن تسير إلى درجة الحميمية وإن لم تصل، لأن الواجب يقتضي ذلك. ولا ينبغي أن تكون العلاقات الحميمية مع ذوي

الأرحام فحسب، بل لا بد أن تكون أيضا بين الأصدقاء والأصحاب وإن لم تجمع أرحام بينهم.

وعلى هذا الأساس تبرز أهمية العلاقات الإنسانية التي تبني على المحبة والصدق والأخوة، وقد ضربت الخنساء مثلا عظيما في الإخلاص والمحبة التي جمعت بينها وبين أخيها صخر. وقد عدّدت الشاعرة بلغتها الوجدانية المتميزة جملة من المناقب والخصال التي اتصف بها أخوها صخر، منها الشجاعة والصبر والجود ... وهي خصال حميدة ينبغي أن يتصف بها كل امرئ يقرأ مراثيها، ويدرك أن هذه اللغة صدرت من الوجدان لتصل إلى من كان له وجدان.

وقد تطرقنا في دراستنا هذه إلى ملامح اللغة الوجدانية في شعر الخنساء، ولم نقتصر على قصيدة بعينها، وإنما فسح المجال لهذه المعاني الإنسانية الوجدانية التي تتوالد في ديوانها، بل هي أكبر من تحصر، وأوسع مجالا وأبهر.

وقد تناولت الدراسة العناصر التالية: الخنساء–مكانة الخنساء بين الشعراء–الخنساء واللغة الوجدانية (بين سواد الجرح وصدق الإحساس) –اللغة الوجدانية من الحزن والانكسار إلى البهجة والقوة –اللغة الوجدانية بين ثلاثية الندب والتأبين والعزاء–اللغة الوجدانية بين براعة الصوت وجودة الإيقاع–المعاني الإنسانية من خلال اللغة الوجدانية في رثاء الخنساء.

كما اعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي الوصفي لأنه أنسب للظاهرة إذ يصف الجوانب الأسلوبية والإيقاعية في رثاء الخنساء من جهة، ومن جهة أخرى يحلل هذه الأبيات مبرزا الجوانب العاطفية والإنسانية التي تتجسد في اللغة الوجدانية.

2–الخنساء:

احتلت الخنساء مكانة شعرية مرموقة، تجاوزت بعض معاصريها أحيانا، فشهد لها أقرانها من الشعراء بقوة الشاعرية، وقد فتن النقاد بقوة شعرها ومتانة صوره، وصدق عاطفتها وقوة إحساسها، فهذا النابغة الذبياني لم يكن بمنأى عن حجم الإحساس المتدفق من نفسية الخنساء، وإن كان إعجابه – على وجه الخصوص–التفت إلى هذه الصورة الفنية التي أبدعت الخنساء في أدائها إذ قالت:

وإن صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار[1]

وهو الناقد البصير بمواقع الإجادة في الشعر إذ قال لها: " لولا أن أبا بصير(الأعشى) أنشدني لقلت أنك أشعر الإنس والجن"[2]

لكن الشيء اللافت للنظر أيضا هو وجدانية الخنساء من خلال الإيقاع الحزين في مراثيها فضلا على ما أوتيت الشاعرة من براعة التصوير الناشئة – فيما نعتقد –عن حجم الجرح، وقوة الإحساس وصدقه.

ويروى أن الخنساء أنشدت حسان بن ثابت بعض شعرها فقال:" والله ما رأيت ذات متانة أشعر منك "[3]وقيل لجرير:" من أشعر الناس؟ قال: أنا لولا هذه الفاعلة. يعني الخنساء"[4]، ولعله أشار إلى شيء من شعرها كان بين يديه. ورأى بشار بن برد أن شعر الخنساء قوي ومتين ليس فيه ضعف، قال:" لم تقل امرأة شعرا قط إلا ظهر الضعف فيه، فقيل له: أو كذلك الخنساء؟ فقال: تلك كان لها أربع خصى".[5]

ورأى بعض النقاد أنها متقدمة على سائر النساء في قول الشعر؛ إذ جعلها ابن سلام ضمن شعراء الرثاء، فقال:" وصيرنا أصحاب المراثي طبقة بعد العشر الطبقات: أولهم المتمم بن نويرة... رثى أخاه مالكا، والخنساء بنت عمرو... رثت أخوها صخرا ومعاوية"[6]. والمبرد يساوي بينها وبين ليلى الأخيلية، مع أنه قدمها في الذكر فقال:" كانت الخنساء وليلى في أشعارهما متقدمتين لأكثر الفحول، وقلما رأيت امرأة تتقدم في صناعة"[7]. وقارن أبو زيد بين

الخنساء وليلى الأخيلية، بقوله:" ليلى أغزر بحرا، وأكثر تصرفا وأقوى لفظا؛ والخنساء أذهب في عمود الرثاء".[8]

فمن هنا اتفق:" أهل العلم بالشعر أنه لم تكن امرأة قبلها، ولا بعدها، أشعر منها".[9]

3-اللغة الوجدانية بين سواد الجرح وصدق الإحساس:

نلمس اللغة الوجدانية في مراثي الخنساء، من خلال ما ألمّ بها من الأحزان الشديدة والجراح القاتمة. ولكنها نفّست عن كرباتها وأحزانها بلغتها المتفرّدة وأسلوبها المتميز، ولعل السر العظيم وراء جودة هذا الأسلوب هو صدق تمثيله للواقع وتجسيده للمعاناة الإنسانية:" فمن لم يعش الألم ويجرّب المآسي لن يمتلك القلب المرهف والإحساس الرقيق والمشاعر الصادقة؛ لذلك أرى أن شعر الخنساء من أصدق ما وصل إلينا من الشعر العربي في نوعه، وأخلصه عاطفة في التعبير عن الحزن العميق الدافع بصاحبه إلى طلب الثأر، وقصد الانتقام حينا، وإلى اليأس المفجع أحيانا؛ لأنها من خلال صدمتها عاشت هذه المراتب من الحزن وعانت ويلات الفراق والرحيل، وذاقت من الآلام والأحزان ما لم يذقه إنسان، وتجرعت غصص الفاجعة الكبرى في أعلى مستوياتها، وبما هي أنثى لا تصغي إلا لنبضات قلبها الجريح، جاء خطابها الشعري أنثويا، وذلك من خلال البنية الشعرية الممتلئة بألفاظ المرأة، فهي بنية تمتلئ بالبكاء والعويل، والحزن والخوف بالإضافة إلى انشطار ذاتها، وقلقها الدائم من المستقبل وشعورها بالانكسار. فللمعاناة دور في اختيار الخنساء لألفاظها الشعرية وتشكيلات الصياغة؛ لذلك جاءت قصائدها تجربة مميزة في عالم الإبداع الشعري".[10] وصارت أنموذجا يضرب به في الصدق والإخلاص.

ومن صور البكاء والحزن والمعاناة في شعر الخنساء قولها:

يَا عَيْن جُودي بالدَمو عِ الْمُسْتهلاَّت السَّوافِح
فَيْضًا كما فاضَ الغَرو بُ المُتْرعاتِ من النَّواضِح
إنَّ البُكـاءَ هو الشِّفا ءُ من الْجَوى بين الجَّوائِح
فابْكي لصخرٍ إذْ ثَوى بين الضَّريحَةِ والصَّفائِح[11]

فالشاعرة تستهل هذه الأبيات بخطاب العين؛ فهي تطلب منها أن تجود بالدمع المسكوب المنهمر الذي لا ينقطع، يفيض فيضان المطر الدائم الهطول. ولعل هذا السكب الدائم للدموع قد يكون سببا في تخفيف الوجع والألم الذي ألمّ بها.

وقد امتلكت الخنساء كغيرها من الشعراء الفحول القدرة الجمالية التي توجهها المعاناة في استعمالها الألفاظ، واستثمار خصائصها التي حوّلت الألفاظ المفردة المعجمية إلى ألفاظ ذات طابع شعري، جعلها تتسم بخصوصيات شعرية تخرج من عواطفها المتألمة دون تكلف، حتى أصبحت أنموذجا للمرثاة الصادقة النابعة من قلب صادق؛ ربما ألهمت بها عددا كبيرا من شعراء المراثي المتأخرين.[12]

وقد انبعث من قلب الخنساء حزن بالغ، جعلها تخاطب في كثير من الأحوال نفسها، بل إن العين نالت حظوة كبيرة في خطابها الشعري، إذ تعجب الشاعرة في هذا المثال من جمودها فتستمطرها سحًّا وتَسكابا، تقول:

يا عينُ ما لك لا تبكينَ تَسْكابا إذا رابَ دَهرٌ وكَان الدَّهرُ ريَّابَا[13]

4-وجدانية الخنساء بين ثلاثية الندب والتأبين والعزاء:

عندما نتأمل اللغة الوجدانية عند الخنساء نجدها في رثائها لا تتعدى ثلاث محطات أساسية؛ وهي الندب والتأبين والعزاء، وهي محاور أساسية تتداخل في شعرها تداخلا واضحا؛ إذ كلّما سيطرت هذه الأحزان على ذهن الخنساء وسلوكها وطبيعة عيشها سيطرت أيضا على شعرها وفنها. وقد أبدعت الشاعرة في تصوير هذه الحالات النفسية التي توحي أن

صاحبتها كانت تحت وطأة جزع وحزن شديدين، لكن الشاعرة تمزج في لغتها بين الأسى والتأسّي، أي بين القدر وبين ما ينبغي أن تكون عليه النفس القوية أمام هذا القدر. وسنعرض بعض هذه الصور الثلاث من شعر الخنساء بعد أن نعرف الرثاء في شعرها.

يصف بعض النقاد الرثاء بأنه أصدق الشعر؛ إذ يقول الجبوري: " تعبير مباشر قلّما تشوبه الصنعة والتكلف."[14]وذلك لارتباطه بظاهرة الموت، كونها من الظواهر الإنسانية التي شغلت بال الفلاسفة والأدباء والحكماء على حد سواء منذ أقدم العصور، ويقوم على تعداد مناقب الميت وصفاته الحميدة.

والرثاء في اللغة: مدح الميت، ورثاه: بكاه، وعدد محاسنه، يقال: رثاه بقصيدة، ورثاه بكلمة.[15]ومعنى هذا أن الرثاء يكون شعرا كما يكون نثرا.

وإذا تأملنا مظاهر الرثاء في شعر الخنساء، نجدها مزيجا بين الندب الشجي، والتأبين القوي، والعزاء الصادق، وهي ألوان رثائية تؤكد لنا أن الشاعرة حاولت أن تخفف عن آلامها وأحزانها عن طريق التدرج وفق هذه المظاهر الرثائية، وقد جسدتها في شعرها أحسن تجسيد.

4-1-الندب:

أ-الندب في اللغة: من ندَب، يندِب، ندبا، وندبت الميت: نحت عليه وبكيت، وعددت محاسنه، والنَّدب أن تدعو النادبة الميّت بحسن الثناء[16].

ومن هنا يقوم الندب على مظاهر أساسية هي التفجع والتوجع والنواح والصراخ وإظهار الجزع، وهي كلها توحي باضطراب يحدث للنفس عند قيام النازلة.

ب-الندب في الاصطلاح: هو البكاء على الراحل حين يعصف به الموت، وتصوير المأساة والموقف الحزين، في حالة يكون فيها الراثي في قمة لوعته وحزنه[17]

يأتي التأبين في شعر الخنساء بلفظه ومعناه حين تصور حال نساء الحي بعد مقتل أخيها صخر.

تقول:

فنساؤنا يندِبن بحًّا بعد هادئة النوائح

شُعْثًا شواحب لا يَنين إذا ونى ليل النوابح[18]

ويتجلّى الندب واضحا، حين تشعر الخنساء بالوحشة وخلوّ الدار من أخيها صخر، فتقيم لفراقه مأتما، ويشتد نواحها، فتضل تنعاه في كثير من شعرها، كقولها:

ما هاج حُزنُكِ أم بالعين عُوَّار أم ذرَّفْتِ إذ خلت من أهلها الدارُ

كأن عيني لذكراهُ إذا خطَرت فيضٌ يسيل على العينينِ مدرارُ

تبكي لصخر هي العبرى وقد ولهت ودونه من جديد الترب أستارُ

تبكي خناس فما تنفك ما عمرت لها عليه رنين وهي مفتار[19]

هذه الألفاظ (الدموع، العبرى، العينين، تبكي، تسيل)، توحي بالحزن الشديد ولوعة الفراق، وهي صورة واضحة لظاهرة الندب التي سيطرت على شطر كبير من رثاء الخنساء.

4-2 -التأبين:

أ-التأبين في اللغة: أبَّن الرَّجلَ، أي مدحه بعد موته وبكاه، ويقال: الثناء على الرجل في الموت والحياة. وقيل: التأبين إذا ذكرته بعد موته بخير وتكريم، ومن هنا قيل لمادح الميت مؤبِّن، لأنه تتبع آثار الميت وفعاله وصنائعه، وقيل: هو يقرِّظ الأحياء ويؤبِّن الأموات.[20]

ب-اصطلاحا: هو أدنى من مرحلة الندب، ويأتي بعد صحوة الراثي من صدمته الأولى، فينطلق بعيدا عن الموت والفجيعة والخوف، ولكنه لا يزال يحمل شيئا من التوتر بسبب صدمة الموت، فيعود إلى نفسه يسترجع صفات المرثي، وخصاله، ساردا أمجاده، ومعبرا عن حزن الجماعة بهذا الرثاء.[21]

ومن مظاهر التأبين ما جاء في رثائيات الخنساء من ذكر لخصال أخيها صخر نحو: العفة الشجاعة، الكرم، الحلم، حماية الجار، الوفاء إغاثة اللهفان....

وقد خلّدت لنا الخنساء بهذه الأبيات صورة الإنسان الشريف وصاحب السيادة والكرم الذي كان يكفيهم مؤونة الأيام، وزعيمهم في الحرب والسلم، وينحر الإبل ويطعمهم في ليالي الشتاء الباردة، بل كان على الدوام هو المثل والمرجع والملجأ والسند الذي تلجأ إليه الجماعة، لكي يحمل عنها هذه الأفعال جميعا ويشاركها في درء أخطارها ودفع حوادثها ودواعيها التي يصنعها الدهر ويزجيها؛ فتقول:

يومًا بِأَوْجد مِني يوم فارقني صخر وللدهر إحلاءٌ وإمرار

وإن صخرا لكافينا وسيدنا وإن صخرا إذا نشْتوا لنحار

وإن صخرا لمقدام إذا ركبوا وإن صخرا إذا جاعوا لعقار[22]

وهذه الألفاظ التي جاءت بها الخنساء توحي بأن صاحبتها أثقلتها الأحزان والفجيعة، فأخذت تبرز عظمة من ترثيه بتعداد خصاله عن طريق صيغ المبالغة (مقدام، نحار، عقار).

4-3-العزاء:

أ-العزاء لغة: الصبر على ما فقدت، ويقال عزيته تعزية وعزاء؛ أي آسيته وضربت له الأسى، وصبرته على مصيبته، يقال: تعازى القوم، أي عزى بعضهم بعضا، ويقال عزيت ابن الفقيد؛ أي آسيته وصبرته على فقيده.[23]

ب-اصطلاحا: هو مرتبة عقلية فوق مرتبة التأبين، تنبض بالتفكير في حقيقة الموت والحياة، وتنتهي إلى معان فلسفية تعج بالحكمة، يحمّلها الشاعر العزاء إلى نفسه والآخرين.[24]

وقد ورد العزاء بلفظه ومعناه في قول الخنساء:

ولا تعدي عزاء بعد صخر فقد غلب العزاء وعيل صبري

ومن الصور التي تظهر فيها الخنساء متعزية ومتأسية بنفسها قولها:

ولكن لا أزالُ أرى عَجُولاً ونائحةً تنوح ليَوم نحس

هما كلتاهما تبكي أخاها عشية رُزْئِهِ أو غِبَّ أمسي

وما يبكين مثل أخي ولكن أُسلِّي النَّفْسَ عنه بالتَّأَسِّي[25]

وهنا تظهر الخنساء جلدة قوية، وقد خفف النوائح عنها الحزن، وأدركت بأن ذلك هو القدر، ولا بد أن تسلّم للقدر.

5- اللغة الوجدانية بين براعة الأسلوب وجودة الإيقاع:

ما يميّز لغة الخنساء هو براعة أسلوبها وجودة إيقاعاتها، إذ تجد انسجاما كبيرا بين الألفاظ التي تستخدمها في التعبير عن أحزانها ومكبوتاتها، وبين البحر الذي يناسب هذه الألفاظ، وكذلك الأمر بالنسبة للبحر والغرض الشعري التي هي بصدده، فلغة الخنساء هي من المتانة بمكان، وتميز لغتها بالأجراس والإيقاعات أكثر من المعاني والدلالات يرجع إلى طبيعة الموضوع أو الغرض، وهو – في الوقت نفسه–دليل واضح على شاعريتها التي أبهرت الشعراء والنقاد.

وإذا كان بوفون(Buffon) يقول بصراحة:" الأسلوب هو الكاتب نفسه". فليس ثمة شك في أن أسلوب الخنساء في الرثاء ونمطية الإيقاع في شعرها هو صورة واضحة لشخصيتها الحزينة التي تعاني الفقد والتوجع؛ الفقد لأخيها صخر والتوجع والتألم من فراقه، حتى لكأن الدار خالية واللذة في الأشياء منعدمة، تقول:

فقد ودّعت يوم فراق صخر أبي حسان لذاتي وأنسي[26]

واختيار السين قافية لهذه القصيدة لما فيها من الإيناس والاستئناس، فهي تستأنس بهذا الضرب من القوافي، وتدعو العالم أن يؤانسها في جرحها إذ " تستخدم الحزن كشحنات نفسية كئيبة لمواجهة الواقع" [27]الذي يصعب احتماله.

وإن نجاح الشاعر يكمن في أسلوبه التي يتوافق والحالة الشعورية التي يعانيها، ومعناه أن رقي المستوى الصوتي في القصيدة يثمّنها من جهة، ويؤكد نجاح الشاعر من جهة أخرى، وقد يقول الاستئناس بالكتابة وقول الشعر وسيلة للتنفيس، الحال نفسه يذكّرنا بالكاتب جاك دريدا(Jack dérida) الذي خبر البكاء منذ نعومة أظافره " فبكائياته عن أصدقائه الراحلين كانت باستثمار الكتابة، يوثق بها وجعه البدائي".[28] فيملك وجدان الآخرين.

وأسلوب الخنساء صورة طبق الأصل لشخصيتها الحزينة، وإنّ مقطوعاتها الشعرية تتميز بجرسها أكثر من تميزها بدلالتها. وربما يوشك هذا الجرس أن يغطي صورة الألم والوجع، أكثر مما تثيره دلالات الألفاظ. ومن هنا نكتشف صورة الشاعرة الموهوبة التي استطاعت أن تختلج النفوس وتخاطب الأرواح، بفيض هذه الأجراس المتميزة.

6-المعاني الإنسانية من خلال اللغة الوجدانية في رثاء الخنساء:

في هذا العنصر لابد أن نشير إلى أن قيمة شعر الخنساء لا يتوقف عند الجانب الفني فحسب، وإنما هو شعر ذو طابع إنساني، وهو مثال حي تبرز الخنساء من خلاله أهمية العلاقات الإنسانية ودورها في تخليد صورة الشخص النموذجي الذي تتوفر فيه الأخلاق والقيم. وقد أعطت دروسا وعبرا في الحب والإخلاص والأخوة، التي نراها لا تنقطع رغم الفقد أو الرحيل؛ فبالرغم أن الشاعرة توشك أن تسقط في غمرات الحزن واليأس بسبب الفاجعة والمصيبة التي ابتليت بها، لكنها سرعان ما تقوى على هذه المحن والأحزان بالصبر والتأسّي والإيمان. تقول:

فلولا كثْرة البَاكين حولي على إخْوانهم لقتلت نفسي[29]

وشعر الخنساء يؤشر إلى ضرورة المحافظة على العلاقات الإنسانية والروابط البشرية، لأن ذلك يثبت حب الإنسان لأخيه وقوة إخلاصه له، وما دام الإنسان حي يرزق، فلابد أن يحافظ على علاقته مع الآخرين خاصة إذا كانوا من أولي الأرحام. وقد خلّدت الخنساء بمرثياتها كثيرا من الصفات والأخلاق الحسنة التي يتميز بها المرثي كالجود والشجاعة والعفة والكرم ... وهي – دون شك– أخلاق المسلم؛ وما ينبغي أن يكون عليه من الصفات. تقول في إحدى أبياتها:

أعينيَّ جُودَا وَلا تَجْمُدا ألاَ تَبْكيَانِ لِصَخْرالندى
ألا تبكيان الجريء الجميع ألا تبكيان الفتى السيِّدا
رفيعُ العماد، طويلُ النِّجا دِ سَادَ عشيرتَهُ أمْرَدَا
إذا بسَطَ القومُ عند الفِضالِ أكُفَّهم تبتغي المَحْمَدَا
وكان ابتدارُهم للعُلى أشارَ فمدَّ إليهَا يدَا
فنالَ التي فوق أيديهِمْ من المجْدِ ثم انتمَى مَصْعدَا
وَيَحمل للقَوْمِ مَا عاَلَهُم وإن كَانَ أَصْغَرُهُم موْلِدَا[30]

وفي شعر الخنساء إشارة واضحة إلى طبيعة العربي القديم الذي يتميز بقوة العقل ورهافة الحس وصدق العاطفة، وواقعيته الكبيرة في التعامل مع الظواهر والمحن. فعقله راسخ مثل الجبل، وقلبه مرهف كالطفل؛ وقد أكّدت الخنساء في بعض قصائدها أنه رغم حميّة الجاهليين وغلظتهم، إلا أن لهم قلب يرق مع المصائب والنوازل، ويلجأون إلى الجماعة في مصائبهم، ولذلك حاربوا كل أشكال التفرد والانعزال على مستوى بناء القصيد، أو على مستوى الحياة الاجتماعية، فهي تدعو إلى الوحدة والجماعة والبعد عن التفرق أو العزلة والانفراد، ففي الكرم مثلا تستحضر الخنساء صورة أخيها صخر، وهو ينفق على اليتامى

والأرامل ويهتم بهم، فمَثَلهم وهم يجلسون عند بيته؛ مثل النبات المخضر الذي إذا جاءه المطر نبت من جديد، فيحيون من جديد بعد أن قتلهم الجوع والعطش، فتقول:

وأبُو الْيتَامَى ينبُتُونَ فِنَاءَهُ نَبْتَ الْفِرَاخِ بِمُكْلِئٍ مِعْشَابِ[31]

وتقول أيضا:

أبَا الْيتَامى إذَا مَا شَتْوةٌ جَحَرَتْ وَفِي الْمَزَاحِفِ ثَبْتٌ غَيْرُ وقَّافِ[32]

7. خاتمة:

نستنتج في الأخير أن شعر الخنساء هو في غرض الرثاء، يغلب عليه الحزن والبكاء، لا تشوبه الصنعة، ولا يمجّه التكلف،لأنه عبارة عن تجربة فنية صادقة، تحمل في طياتها ألم الحزن والفراق؛ تجلت لنا من خلاله صورة المرأة الحزينة التي تحمل هموما صادقة اتجاه شخصية عظيمة عُرفت بشمائل وأخلاق عالية، وقد نبع شعر الخنساء من الوجدان ليصل إلى كل وجدان. ومن النتائج التي نصوغها أيضا ما يلي:

– يتميز شعر الخنساء ببنيته الإيقاعية الحزينة، فهو يجمع بين قوة الألفاظ، وجودة الإيقاع.

– تعد الخنساء شاعرة بكّاءة بشعرها سلاّبة لأفئدة الناس بأسلوبها، وهي رمز الإخلاص لمن يستحق الإخلاص.

– نكتشف صورة الشاعرة الموهوبة التي استطاعت أن تختلج النفوس وتخاطب الأرواح، بفيض هذه الأجراس المتميزة.

– نجد القوة والعزيمة مقابل الحزن واليأس في قصيدتها، كأن الشاعرة تريد أن تخرج من عالم الحزن والسكونية، إلى عالم الفرح والحركة، وهي تمنح للقارئ متعة وراحة، وهذه الأبيات دون شك هي في عمق الرثاء، ولكن الخنساء تلعب بالأوتار، وتحفّز القارئ من خلال مواصفات أخيها صخر، وذلك بالاستطراد والتكرار لأساليب المبالغة الحماسية (حمَّال، هبَّاط،

شهَّاد...)، وهي كلّها ألفاظ مفعمة بالحركة، توشك أن تخرج النص من عالم الحزن والبكاء إلى فضاء الحماسة والبهجة والقوة.

– إذا تأملنا مظاهر الرثاء في شعر الخنساء، نجدها مزيجا بين الندب الشجي، والتأبين القوي، والعزاء الصادق، وهي ألوان رثائية تؤكد لنا أن الشاعرة حاولت أن تخفف عن آلامها وأحزانها عن طريق التدرج وفق هذه المظاهر الرثائية، وقد جسّدتها في شعرها أحسن تجسيد.

– جاء الوزن والقافية في قصيدة الخنساء متوافقا مع الغرض الشعري، متناسبا مع الحالة النفسية للشاعرة، وما تستدعيه من صيغ صرفية، وأساليب، تجسد المستوى الإيقاعي أحسن تجسيد.

– استعملت الشاعرة أساليب متميزة من مثل التصريع، الترصيع، التجنيس، التطريز، التوكيد...، وهي كلها أسلبة صوتية، تثير الأسماع وتحرك الوجدان.

8. الهوامش

[1]– الخنساء، الديوان، شرح أبي العباس ثعلب، قدم له وشرحه فائز محمد، دار الكتاب العربي، لبنان،ط3، 1998م، ص56.

[2]– طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الحكمة، بيروت، لبنان، دط، دت، ص12.

[3]– ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق وشرح مفيد قميحة ومحمد الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2005م، ص201.

[4]– أبو العباس الشريسي، شرح مقامات الحريري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1979م، ج2، ص172.

[5]– المصدر نفسه، ج2، ص172.

[6]– ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، قرأه وشرحه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ج1، ص203.

[7]– إبراهيم الحصري، زهر الآداب وثمر الألباب مفصل ومضبوط بقلم زكي مبارك، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط4، 1972، ج3، ص999.

[8]– المصدر نفسه، ج3، ص999.

[9]– عبد القادر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام هارون، الهيئة المصرية للكتاب، ط2، 1979، ج1، ص434.

[10]– سليم بن ساعد السلمي، الصورة الفنية في شعر الخنساء، إشراف الدكتور خليل عبد الرفوع، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة والعربية وآدابها، جامعة مؤته، 2009، ص10.

[11]– الخنساء، الديوان، ص148.

[12]– المصدر نفسه، ص10.

[13]– المصدر نفسه، ص190.

[14]– حمدوا طماس، الخنساء، دار المعرفة، لبنان، ط2، 2004، ص46.

[15]– عيسى علي الكاعوب، العاطفة والإبداع الشعري، دار الفكر المعاصر، لبنان، ط1، 2002، ص240–241.

[16]– ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للنشر، ط1، بيروت، مادة(ندب).

[17]– يحي الجبوري، الشعر الجاهلي، خصائصه وفنونه، مؤسسة الرسالة، ط8، 1997، ص313.

[18]– الخنساء، الديوان، ص335.

[19]– نفسه، ص378–379.

[20]– ابن منظور، لسان العرب، مادة(أبن)

[21]– الجبوري، الشعر الجاهلي، خصائصه وفنونه، ص313.

[22]– الخنساء، الديوان، ص385.

[23]– ابن منظور، لسان العرب، مادة(عزا).

[24]– الجبوري، الشعر الجاهلي، خصائصه وفنونه، ص313.

[25]– الخنساء، الديوان، ص177.

[26]– قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية –بيروت– لبنان، دت ص 64.

[27]– جدي فاطمة الزهراء، مظاهر الحزن في الشعر العربي المعاصر، الشعراء الرواد أنموذجا، مجلة النص، العدد02، 2022، ص141.

[28]– وسيلة مجاهد، الحياة والموت، واو العطف المحذوفة من أجندة جاك دريدا، مجلة النص، العدد02، 2024، ص581.

[29]– الخنساء، الديوان، ص177.

[30]– المصدر نفسه، ص143–146.

[31]– نفسه، ص253.

[32]– نفسه، ص409

9. المصادر والمراجع:

1. إبراهيم الحصري، زهر الآداب وثمر الألباب مفصل ومضبوط بقلم زكي مبارك، دار الجيل، بيروت، لبنان،ج3، ط4، 1972.
2. جدي فاطمة الزهراء، مظاهر الحزن في الشعر العربي المعاصر، الشعراء الرواد أنموذجا، مجلة النص، العدد02، 2022.
3. حمدوا طماس، الخنساء، دار المعرفة، لبنان، ط2، 2004.
4. الخنساء، الديوان، شرح أبي العباس ثعلب، قدم له وشرحه فائز محمد، دار الكتاب العربي، لبنان،ط3، 1998.
5. ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، قرأه وشرحه: محمود محمد شاكر،ج1، مطبعة المدني، القاهرة.
6. سليم بن ساعد السلمي، الصورة الفنية في شعر الخنساء، إشراف الدكتور خليل عبد الرفوع، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة والعربية وآدابها، جامعة مؤته، 2009.
7. طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الحكمة، بيروت، لبنان، دط، دت.
8. أبو العباس الشريسي، شرح مقامات الحريري،ج2، دار الكتب العلمية، بيروت،1979.
9. عبد القادر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام هارون، الهيئة المصرية للكتاب، ط2، 1979، ج1، ص434.

10. عيسى علي الكاعوب، العاطفة والإبداع الشعري، دار الفكر المعاصر، لبنان، ط1، 2002.
11. ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق وشرح مفيد قميحة ومحمد الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2005م.
12. قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، دت.
13. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للنشر، ط1، بيروت.
14. وسيلة مجاهد، الحياة والموت، واو العطف المحذوفة من أجندة جاك دريدا، مجلة النص، العدد02، 2024.
15. يحي الجبوري، الشعر الجاهلي، خصائصه وفنونه، مؤسسة الرسالة، ط8، 1997.